تفسير ابن كثير

ينهى الله تعالى عباده المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء من دون المؤمنين يعني مصاحبتهم ومصادقتهم ومناصحتهم وإسرار المودة إليهم وإفشاء أحوال المؤمنين الباطنة إليهم كما قال تعالى : { لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلا أن تتقوا منهم تقاة ويحذركم الله نفسه } أي يحذركم عقوبته في ارتكابكم نهيه ولهذا قال ههنا : { أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا } أي حجة عليكم في عقوبته إياكم قال ابن أبي حاتم : حدثنا أبي حدثنا مالك بن إسماعيل حدثنا سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قوله : { سلطانا مبينا } قال كل سلطان في القرآن حجة وهذا إسناد صحيح وكذا قال مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي والضحاك والسدي والنضر بن عربي .

ثم أخبرنا تعالى { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } أي يوم القيامة جزاء على كفرهم الغليظ قال الوالبي عن ابن عباس { في الدرك الأسفل من النار } أي في أسفل النار وقال غيره : النار دركات كما أن الجنة درجات وقال سفيان الثوري عن عاصم عن ذكوان أبي صالح عن أبي هريرة { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } قال في توابيت ترتج عليهم : كذا رواه ابن جرير عن ابن وكيع عن يحيى بن يمان عن سفيان الثوري به ورواه ابن أبي حاتم عن المنذر بن شاذان عن عبيد الله بن موسى عن إسرائيل عن عاصم عن أبي صالح عن أبي هريرة { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } قال : الدرك الأسفل بيوت لها أبواب تطبق عليهم فتوقد من تحتهم ومن فوقهم قال ابن جرير : حدثنا ابن بشار حدثنا عبد الرحمن حدثنا سفيان عن سلمة بن كهيل عن خيثمة عن عبد الله يعني ابن مسعود { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } قال : في توابيت من نار تطبق عليهم أي مغلقة مقفلة ورواه ابن أبي حاتم عن أبي سعيد الأشج عن وكيع عن سفيان عن سلمة عن خيثمة عن ابن مسعود { إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار } قال : في توابيت من حديد مبهمة عليهم ومعنى قوله : مبهمة أي مغلقة مقفلة لا يهتدى لمكان فتحها .

وروى ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا أبو سلمة حدثنا حماد بن سلمة أخبرنا علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن أن ابن مسعود سئل عن المنافقين فقال : يجعلون في توابيت من نار تطبق عليهم في أسفل درك من النار { ولن تجد لهم نصيرا } أي ينقذهم مما هم فيه ويخرجهم من أليم العذاب ثم أخبر تعالى أن من تاب منهم في الدنيا تاب عليه وقبل ندمه إذا أخلص في توبته وأصلح عمله واعتصم بربه في جميع أمره فقال تعالى : { إلا الذين تابوا

وأصلحوا واعتصموا باﷲ وأخلصوا دينهم ﷲ } أي بدلوا الرياء بالإخلاص فينفعهم العمل الصالح وإن قل قال ابن أبي حاتم : حدثنا يونس بن عبد الأعلى قراءة أنبأنا ابن وهب أخبرني يحيى بن أيوب عن عبيد اﷲ بن زحر عن خالد بن أبي عمران عن عمران عن عمرو بن مرة عن معاذ بن جبل أن رسول اﷲ صلى اﷲ عليه وسلّم قال : [أخلص دينك يكفك القليل من العمل] { فأولئك مع المؤمنين } أي في زمرتهم يوم القيامة { وسوف يؤت اﷲ المؤمنين أجرا عظيما } ثم قال تعالى مخبرا عن غناه عما سواه وأنه إنما يعذب العباد بذنوبهم فقال تعالى : { ما يفعل اﷲ بعذابكم إن شكرتم وآمنتم } أي أصلحتم العمل وآمنتم باﷲ ورسوله { وكان اﷲ شاكرا عليما } أي من شكر شكر له ومن آمن قلبه به علمه وجازاه على ذلك أوفر الجزاء